

التحدي اللغوي

ومسؤولية التربية الإسلامية في مواجهته

د . فهد بن محمد بن عبد المحسن الحارثي (*)

تواجه الأمة الإسلامية على مختلف العصور هجمة شرسة تستهدف كل مقومات نهضتها وتقدمها في جميع المجالات، هذه الهجمة تتخذ من بعض الممارسات وسيلة لها في تحقيق أهدافها للنيل من الإسلام والمسلمين .

ومن هذه الهجمات ما هو مقصود ومنها ما هو عفوي، جرت طبيعته التقدم التقني والثقافي والحضاري إلى جميع بلدان العالم .

فكونت تلك الهجمات المقصود منها وغير المقصود مجموعة من التحديات في عدد من المجالات الفكرية والثقافية والعقدية والاجتماعية والإعلامية، كل تلك التحديات كانت تعمل على تغيير واقع المسلم إلى واقع آخر، يخرج من إطار عقيدته، ويلوح به في أعاصير العولمة وردهاتها، ويجعل منه إنسانا عصريا في نظرهم هم وحدهم . ومن أبرز تلك التحديات الثقافية في الدين واللغة والتاريخ والعادات والتقاليد والحضارة والترفيه ...

ولعلنا في هذه الدراسة أن نركز الحديث عن التحديات اللغوية، فاللغة سمة المجتمع، وحاملة فكره وثقافته، وأداة اتصال أفراده، ووعاء حضارته، والحرب ضد اللغة لها أبعاد عقدية عندنا كمسلمين، ذلك لأن العلاقة بين العقيدة واللغة علاقة وثيقة، فالمسلم يستخدم اللغة العربية في كافة شعائره الدينية، وأعظم تلك الشعائر الصلاة . والقرآن الكريم نزل بلغة العرب، فقامت أركان هذا الدين وحضارته وثقافته باللغة العربية، فهي لسانه الناطق .

(*) كلية التربية - جامعة الملك عبد العزيز بجده - المملكة العربية السعودية .

إن الدولة الإسلامية بما فيها من حضارة وثقافة دونت مآثراتها باللغة العربية، وتم حفظ تلك الثقافة بهذه اللغة، كما تم نقلها باللغة ذاتها، واليوم عندما تهاجم هذه اللغة بأساليب متعددة، تهدف إلى هدم أركانها، ليس الغاية اللغة العربية فحسب، بل إن في هدم اللغة هدم للعقيدة والحضارة والثقافة الإسلامية لأنها هي حاملة تلك الثقافة، فاللغة العربية هي سياج هويتنا، وصمام الأمان، لأن العبث بها عبث بأفهام الأجيال القادمة إن بقي لهم من حضارتهم ما يطلعون عليه، وإن لم تتغير هوياتهم وثقافتهم بسبب إرضاعهم لغات أخرى، و إبعادهم عن اللغة الأم .

فما مسؤولية التربية الإسلامية، وهي التي تهدف إلى بناء الإنسان الصالح من كافة جوانبه، ما دورها في بناء الجانب اللغوي لدى الأفراد، وحمايتهم من هذه التحديات، والعمل على إنقاذ المجتمع من ذلك الغزو البغيض الذي يهدف إلى زعزعة الأمة، وهدمها، وسلب مقدراتها بإبعادها عن عقيدتها وأصالتها .

الإطار العام للدراسة

موضوع الدراسة :

تمر الأمة الإسلامية بأزمة خطيرة، تتبلور جوانب هذه الأزمة في دائرة من التحديات، تحيط بالأمة من جميع الجوانب، ومن جملة هذه التحديات، التحدي اللغوي، وهو فرع من فروع التحدي الثقافي .

إن اللغة في أي أمة تمثل حياتها، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، ونحن الأمة الإسلامية تمثل لنا اللغة حياة وآخرة، لأن نظرتنا إلى الحياة والكون والإنسان تختلف عن بقية الفلسفات الأخرى، فاللغة عندنا لها صلة وثيقة بالعقيدة، فهي السبيل لفهم الدين، لأن مصدري التشريع الإسلامي الأساسيين جاءا بلغة عربية فصيحة، ولأن نتمكن من الاستفادة من هذين المصدرين إلا بالمحافظة على لغتنا العربية، والدفاع عنها، وحمايتها من كيد المتربصين .

ولقد فطن أعداء الأمة لذلك، وأخذوا في غزو اللغة العربية بوسائل متعددة، وطرق مختلفة - سنتناولها بالتفصيل فيما بعد - يهدفون إلى هدم بنيانها، وتهديد كيانها، في تحد سافر بأيدهم أو بأيدي أبنائها المنسلخين عن أمتهم وعروبتهم .

والتربية الإسلامية باعتبارها تسعى إلى " إعداد المسلم إعداداً كاملاً من جميع النواحي في جميع مراحل نموه للحياة الدنيا والآخرة في ضوء المبادئ والقيم وطرق التربية التي جاء بها الإسلام ". (مقدار بالجنا، ١٤٠٩هـ، ص ٢٠) فحري بها أن تضطلع بدور الدفاع عن اللغة، والمنافحة عنها، من خلال إقامة مجتمع إسلامي نموذجي، مبني على أفراد، قامت تربيتهم على مبادئ الإسلام وقيمه، والوقوف أمام هذا التحدي بالعمل على تسخير كافة مؤسساتها التربوية لمواجهة خطر هذه التحديات.

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية هذا البحث في النقاط الآتية:

١. بيان خطر التحدي اللغوي على الأمة الإسلامية .
٢. أن الأعداء استخدموا الحرب اللغوية حرباً على العقيدة .
٣. أن اللغة العربية ليست لغة تواصل فحسب، بل هي لغة دين وعقيدة وحضارة.
٤. أن هناك علاقة قوية بين التربية واللغة العربية، تتمثل في أن اللغة وسيلة رئيسة للتعليم والتعلم، وهي غاية لحفظ الدين .
٥. وضع تصور مقترح لمسؤولية مؤسسات التربية الإسلامية في مواجهة التحدي اللغوي من خلال الأسرة والمدرسة والجامعة و المسجد ووسائل الإعلام، مما يساهم كثيراً في التطبيق السلوكي للدفاع عن اللغة العربية .

أهداف الدراسة :

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية :

١. إيضاح مفهوم اللغة وأهميتها .
٢. بيان أهمية اللغة العربية للفرد والمجتمع المسلم .
٣. تحديد مفهوم وأهداف ووسائل ومظاهر التحدي اللغوي .
٤. إيضاح مفهوم التربية الإسلامية وأهدافها وخصائصها .
٥. تحديد م التربية الإسلامية بمختلف مؤسساتها في مواجهة التحدي اللغوي .

أسئلة الدراسة :

في هذه البحث سؤال رئيسي هو :

ما هو التحدي اللغوي، وما دور التربية الإسلامية في مواجهته ؟

ويتفرع من هذا السؤال الأسئلة الآتية :

- ما مفهوم اللغة وما أهميتها ؟
- ما أهمية اللغة العربية للفرد والمجتمع المسلم ؟
- ما مفهوم وأهداف ووسائل ومظاهر التحدي اللغوي ؟
- ما مفهوم التربية الإسلامية وما أهدافها وخصائصها ؟
- ما مسؤولية التربية الإسلامية بمختلف مؤسساتها في مواجهة التحدي اللغوي ؟

منهج الدراسة :

استخدم الباحث التاريخي للاطلاع على بعض ما كتب في هذا الموضوع، والمنهج الوصفي الذي يقوم على " وصف الظاهرة التي يريد دراستها وجمع أوصاف ومعلومات دقيقة عنها... ويعتمد على دراسة الواقع أو الظاهرة كما توجد في الواقع ويهتم بوصفها وصفا دقيقا ويعبر عنها تعبيراً كيفياً أو تعبيراً كمياً " (عبيدات وآخرون ٢٠٠٤، ص ٢٤٧) .

الدراسات السابقة :

تمكن الباحث من العثور على دراستين في حدود زمن البحث، وفيما يلي استعراض لهاتين الدراستين :

دراسة الدكتور فيصل شكري، التحدي اللغوي (١٩٨٥) بحث مقدم ضمن ندوة التحديات الحضارية والغزو الثقافي، مسقط .

وقد هدفت الدراسة إلى تحديد التحدي اللغوي من خلال تصنيف التحديات في

ثلاثة محاور:

أولاً: اتهام اللغة العربية في جملة علومها وتطبيقاتها معارفها

ثانياً: تناول فروع العربية بالاتهام نحواً وصرفاً وحرفاً....

ثالثاً: التحديات الجديدة .

ومع أن الباحث ناقش هذه التحديات بتفصيل وبدقة، إلا أنه لم يحدد طرق مواجهة هذه التحديات، وكيفية التغلب عليها . وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي .
دراسة يحيى عبد الله الزبيدي، مزاحمة العامية للغة العربية الفصحى في المدارس الابتدائية بالقفزة من وجهة نظر معلمي المرحلة الابتدائية (١٤٢١) رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى بمكة المكرمة .

وقد حددت الدراسة جانباً واحداً من التحديات اللغوية وأجريت أدوات البحث على عينة في مدارس القنفذة الابتدائية بهدف معرفة مدى مزاحمة الأمية للفصحى لدى طلاب تلك المدرسة، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي في دراسته .
إلا أن الدراسة الحالية تختلف عن هاتين الدراستين في أنها تحاول تحديد أبرز مظاهر التحدي اللغوي في العصر الحديث، وبيان مسؤولية التربية الإسلامية في مواجهته من خلال مؤسساتها المختلفة .

مفهوم اللغة وأهميتها

لكل أمة من الأمم ثقافتها وحضارتها، التي هي نتاج فكرها، وحصيلة جهد أبنائها، هذه الحضارة التي قامت على كم من العلوم والمعارف ما كانت لتحفظ لولا أن من الله تعالى على البشرية بنعمة اللغة، فاللغة هي الوعاء الذي انصبت فيه تلك الثقافة والمعرفة؛ فدونت اللغة العلوم كتابة، ونقلت هذه الحضارة من جيل إلى جيل قراءة، وتطورت تلك المعارف بالتأمل والتدبر لذلك المكتوب، ولعنا من هنا أن نقف على عدد من النقاط المهمة منها:

• مفهوم اللغة في اللغة والاصطلاح

• أهمية اللغة

• أهمية اللغة العربية

مفهوم اللغة في اللغة والاصطلاح وأهميتها

اللغة في اللغة وفي الاصطلاح :

اللغة في اللغة: قال ابن منظور: " اللغة: اللّسن، وحَدُّها أنها أصوات يُعبر بها كل قوم عن أغراضهم، وهي فعلةٌ من لغَوْتُ أي تكَلَّمْتُ، أصلها لغَوَةٌ ككُرةٍ وقَلَةٌ وثَبَةٌ،

كلها لاماتها واوات، وقيل: أصلها لُغَيٌّ أو لُغَوٌ، والهاء عوض، وجمعها لُغَيٌّ مثل بُرَّة
وَبُرَى، وفي المحكم: الجمع لُغَاتٌ وَلُغُونٌ "

(ابن منظور، د. ت، مادة " لغا ") .

ويقول الفيروزبادي: " لغا لغوا : تكَلَّمَ ... " (الفيروزبادي ١٩٩٣، مادة "

لغا ") .

فاللغة في ضوء هذا المعنى المعجمي هي الكلام، وهي الأصوات . ولكل قوم
لغتهم التي تميزهم عن غيرهم من الناس، فهي " في أصلها اللغوي تتضمن
معنى النطق بعامة... ومن هنا يبدو المعنى الغالب وهو الصوت " (الشنطي د. ت ،
ص ٢١) .

أما اللغة في الاصطلاح فهناك عدد من التعريفات التي سنوردها للغويين
عرب وغير عرب حتى نقف على حد اللغة عندهم ؛ لتتضح لنا بعد ذلك أهميتها
للمجتمعات:

عرّف ابن جنّي اللغة بقوله : " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " (ابن

جنّي ١٩٨٦، ٣٣/١) .

ويقول ابن خلدون: " هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل
اللسان ... وهو في كل أمة حسب اصطلاحاتهم " (ابن خلدون د. ت، ص ٥٤٦) .
ويرى إدوارد سابير أن اللغة " وسيلة تفاهم خاصة بالإنسان، تمكنه من تبادل
الأفكار والعواطف والرغبات بواسطة رموز صوتية اصطلاحية ... تصدرها أعضاء
النطق إراديا ... " (الشنطي، د. ت، ص ٢٣) .

إن لغة عند العرب وغيرهم تعريفات عديدة، تتفق في جوانب وتختلف في
أخرى، ولكن الذي يجمع بين معظم تلك التعريفات هذه الجوانب الثلاثة:
أولا: طبيعة اللغة الصوتية .

ثانيا: وظيفة اللغة الاجتماعية في التعبير ونقل الأفكار .

ثالثا: الطبيعة الاجتماعية للغة (عليان ٢٠٠٠، ص ١٤) .

أهمية اللغة :

١. الوظيفة الشخصية للفرد : ويقصد بها أن لكل فرد قدرته الخاصة في التعبير عن أفكاره وعواطفه ومشاعره، يستخدم من خلالها اللغة استخداماً شخصياً.
٢. الوظيفة التثقيفية : ويقصد بها قدرة الفرد على استخدام اللغة في التعليم والتعلم .
٣. الوظيفة الاجتماعية للغة : وهي وظيفة تبادلية توجيية، يتم من خلالها تبادل المنافع بين الناس، فتستخدم اللغة في حياة الناس اليومية بهدف قضاء المصالح فيما بينهم، وكذلك يوجه ويرشد بها الناس بعضهم بعضاً. (عليان ٢٠٠٠، ص ١٦-١٧ بتصرف) .

الخصائص العامة للغة :

حتى نتوقف عند أهمية اللغة لأبد من ذكر أهم الخصائص العامة التي تشترك فيه لغات العالم، ومنها:

١. أن لكل نظاماً صوتياً ورمزياً .
 ٢. أنها مكتسبة .
 ٣. أنها اجتماعية لا تنشأ من فراغ .
 ٤. أنها نامية وحية .
 ٥. أنها وسيلة للتفكير .
 ٦. أنها تحمل معنى .
 ٧. أنها إنسانية (عليان ٢٠٠٠ ص ١٩) .
- أهمية اللغة العربية

لأننا سوف نتحدث في هذا البحث عن التحدي اللغوي، فنحن بحاجة إلى التعريف باللغة العربية، وبيان أهميتها، وخصائصها، فهي المعنية بهذا التحدي، وهي التي تواجه كل يوم تحد جديد، وهي قادرة بإذن الله على البقاء، وليس البقاء فقط، بل البقاء القوي المؤثر قال تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر: ٩] .

تعد اللغة وسيلة الاتصال الأولى للبشرية جمعا " فهي أداة التعبير منذ خلق الله الإنسان واستخلفه في هذا الكون، وهي مظهر من مظاهر قدرة الله سبحانه وتعالى في خلقه حيث التنوع في اللون والعرق واللغة " (الوعي الإسلامي شعبان ١٤٢٦، ص ٣) قال تعالى : ﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ﴾ [الروم : ٢٢].

: واللغة لا تقف عند حد التعبير فقط بل هي وسيلة تواصل خاصة بالإنسان، يتصل من خلالها مع أفراد المجتمع، تمكنه من تنظيم حياته وقضاء حاجاته، وهي كذلك وسيلة رئيسية للتعليم والتعلم .

كما أن اللغة في أي أمة هي البوتقة التي تصب فيها حضارة وثقافة ومعرفة تلك الأمة، فهي " الحاضن الرئيس لحضارة الأمة الناطقة بها والمعبّر الحقيقي عن ثقافتها وفكرها وهويتها... " (الوعي الإسلامي شعبان ١٤٢٦، ص ٣)، لذا تحرص كل الأمم على المحافظة على لغتها حرصا منها على ثقافتها وهويتها الحضارية، ويمكن لنا أن نحدد أهمية اللغة من خلال النقاط الآتية:

- استطاع الإنسان باللغة أن يحقق وجوده وتطوره، و يكتسب ثقافة وحضارة، وقيما وفهما، ومثلا واتجاهات، وبها يفكر في حل المشكلات .
 - اللغة أداة عجيبة تنتقل بها الأشياء التي تقع عليها حواسنا إلى أذهاننا، وكذلك ينتقل كل ما في الذهن من أفكار ومشاعر وخواطر إلى الآخرين، وينتقل من الماضي إلى الحاضر، ومن الحاضر إلى المستقبل، ومن مكان إلى مكان، ومن جيل إلى جيل
 - اللغة تقرّب البعيد، وتوضح المبهم، وتجعل المعنوي محسوسا، والمجهول معلوما
 - اللغة هي الجسر الذي يصل بين الحياة والفكر (عليان ٢٠٠٠، ص ٢٢ بتصرف).
- وظائف اللغة

إن مما يدل على أهمية اللغة في المجتمع الإنساني ذلك الأثر الظاهر في تقدم الشعوب أو تخلفها " فالقدرة على استخدام اللغة هي أساس النجاح الإنساني " (مذكور ١٩٨٤، ص ٣٧)، ومن هنا لابد لنا من الحديث عن أهم وظائف اللغة التي يستخدمها الإنسان :

التحدي اللغوي، مفهومه، وأهدافه ومظاهره

تمر الأمة الإسلامية في العصر الحديث بمجموعة من التحديات في أكثر من جهة، التي تهدف إلى هدم وتفتيت كيائها، وتشتيت شملها، ومسح هويتها الدينية والثقافية والاجتماعية، ومن تلك التحديات التحدي الفكري و التحدي الاجتماعي و التحدي الثقافي، والذي يهنا هنا هو التحدي الثقافي لأن موضوع بحثنا -التحدي اللغوي - فرع من فروع التحدي الثقافي .

إن التحدي الثقافي " يعبر في حقيقة الأمر عن تحد حضاري " (صوفان ١٩٨٥، ص ٢٨٤) فما المقصود بالثقافة ؟ وما علاقتها بالحضارة ؟ وما دور اللغة في صياغة تلك الثقافة ؟

يقول (صوفان ١٩٨٥، ص ٢٧٣) : " يتفق أغلب من عرّف الثقافة من مفكرين وفلاسفة ومؤرخين وباحثين، أن اللغة والأدب والفن هي عناصر الثقافة الرئيسية، أما الثقافة في معناها الواسع فهي : مجموعة النشاط الفكري، والفني، وما يتصل بهما من مهارات أو يعين عليهما من وسائل، أو بعبارة أخرى هي مجموعة النشاط الفكري، والوجداني الذي لا تكون الأمة أمة إلا به " فالثقافة فكر، أدواته اللغة، وبتفاعل الفكر واللغة تنتج لنا الحضارة .

وقبل أن نتناول التحدي اللغوي لابد من وقفة مع مفهوم التحدي والتحديات، ومن ثم الحديث عن التحدي اللغوي مفهومه وأهدافه ووسائله ومظاهره .

مفهوم التحدي والتحديات :

إن السبيل إلى فهم أي مصطلح يبدأ بفهم المعنى المعجمي له، ومعنى التحدي في اللغة مأخوذ من " حَدَى بِالْمَكَانِ ... حَدَى : لزمه فلم يبرح، وأحدى : تعمد شيئاً، كتحاده، والحديثا: المنازعة والمبارزة، وقد تحدى " (الفيروزبادي ١٩٩٣، مادة حدي) فهو يدل على التعمد والمنازعة والمبارزة، وكلها معان تحمل طابع الاعتداء المقصود .

ويبين (يالجن ١٩٩١، ص ٩) مفهوم التحدي حالياً، ويحدد المصطلح بقوله : "هو محاولات الغربيين ومن سار على نهجهم معارضة ومنازعة ومغالبة

لقد هيا الله سبحانه وتعالى لهذه اللغة عدد من العوامل الاجتماعية والدينية والاقتصادية والثقافية، لتكون من أقوى لغات العالم، و أعظمها قدرة على حمل أعظم المعاني بأقل وألطف الألفاظ.

فقد كانت مكة المكرمة قبل بعثة الرسول ﷺ مقصد الكثيرين من أبناء الجزيرة العربية، من الذين كانوا يدينون بالحنيفية، يحجون إلى البيت الحرام، كما أنها كانت مركز تجاريا لرحلات الشتاء والصيف التجارية، وكانت كذلك مركز ثقافيا يجتمع فيه أدباء العرب ليرى ما لديهم من نتاج أدبي في أسواقها الأدبية...

كل هذا التاريخ أثرت في لغة أهل مكة تأثيرا إيجابيا، فأصبحت لغة قرش أهل مكة لغة عربية بامتياز، ولهمها كل عربي لأنها طيلة هذه السنوات كانت تتنقى بثقافات قبائل الجزيرة العربية المختلفة؛ مما أهلها بعد ذلك لحمل أعظم رسالة في تاريخ البشرية، ولتكون لغة القرآن الكريم، ولغة محمد ﷺ ، وستكون بعد ذلك لغة أهل الجنة في الجنة .

وقد كان النبي ﷺ يفخر بأنه أفصح العرب، ويبين سبب ذلك، قال ﷺ : " أنا أفصح العرب بيد أني من قرش " أي : أنا أفصح العرب لأنني من قبيلة قرش . وبالنظر إلى تاريخ اللغة العربية عالميا فإنها تعد " ثالثة لغات العالم الحديث من حيث انتشارها، وسعة منطقتها، كما تعد إحدى اللغات الست التي تكتب بها وثائق الأمم المتحدة . وتشغل اللغة العربية مركزا جغرافيا مهما في العالم، ولها تاريخ عريق، " (عليان ٢٠٠٠، ص ٢٨) .

ونرجع أهمية اللغة العربية إلى مؤثرين رئيسيين :

أولاً : القرآن الكريم، فهي لغة القرآن الكريم، ولغة العبادة للمسلمين، وبنزول القرآن الكريم : " ... فيها من أنزلة وتزييف بحفظ الله له .

ثانياً : الحضارة العربية، فالثقافة العربية هي الوعاء الذي صبت فيه جميع الحضارة الإسلامية، وحفظت تلك الحضارة باللغة العربية، فكان ذلك أثرا حضاريا في أممها .

الاتجاهات الإسلامية المعاصرة لتأصيل القيم والنظم الإسلامية والحضارة المعاصرة على الأسس الاعتقادية والتشريعية والقيم الأخلاقية والآداب الاجتماعية الإسلامية، أو باختصار الوقوف أمام محاولات إقامة الحياة المعاصرة على الأسس والدعائم الإسلامية " وهي محاولات تسعى لوأد كل توجه إسلامي، وذلك بطرق وأساليب مختلفة، وبالنيل من ثوابت الإسلام، وأنه لا يواكب النهضة الحضارية الحالية، وأنه غير قادر على السير في ركب التقدم في العالم الحديث .

ماذا نقصد بالتحدي اللغوي ؟

إذا كان التحدي هو الوقوف أمام محاولات إقامة الحياة المعاصرة على الأسس والدعائم الإسلامية . ومحاولة تشويه و" هدم هذه المحاولات من أساسها عن طريق توجيه الضربات إلى عقيدة الإسلام وقيمه ... ومحاولة النيل منها باستمرار وعرقلة محاولات التأصيل الإسلامي " (بالجن ١٩٩١، ص ١٠) .

وإذا كانت اللغة هي أداة ومحضن تلك الدعائم والأسس الإسلامية، وهي الوسيلة الرئيسية لتأصيل وحفظ الثقافة الإسلامية، ولبناء ثقافة إسلامية معاصرة، تجمع بين الثوابت المطلقة، والمتغيرات النسبية لصناعة مستقبل مشرق، وصياغة حضارة متجددة؛ فمن الطبيعي أن توجه الضربات إلى هذه الأداة حتى تتعطل، كل خطوات ومحاولات التأصيل الإسلامي لحياة معاصرة، بأساليب ووسائل متنوعة، تهدف إلى زعزعة ثقة المسلمين في لغتهم، ومن ثم إهمالها، والبحث عن لغة بديلة تقيم لهم وجه حضارة جديدة، وهذا ممكن الخطورة .

وكان نتيجة لذلك أن تعرضت الأمة الإسلامية في العصر الحديث لغزو فكري مكثف وكان " التحدي اللغوي رأس أساليب الغزو تسبباً له في ابتدائية، وتمكيناً له بعد ذلك في وجدان الناس وعقائدهم، ومطاردة للعناصر الذاتية التي تؤلف هوية هذه الشعوب وتتشكل شخصيتها " (فيصل ١٩٨٥، ص ٢٩١) .

إن اللغة لأي أمة هي عنوان هويتها، فإذا طمس هذا العنوان فقدت الأمة هويتها، وضيعت رسالتها، وهذا ما ستوضحه الصفحات القادمة من هذا البحث .

أهداف التحدي اللغوي :

تعرض الإسلام والمسلمين إلى حملة استعمارية شرسة، استخدمت فيها جميع أنواع الأسلحة، ولكن السلاح الأخطر كان هدف الاستعمار في زعزعة العقيدة وهدم اللغة فـ" السلاح الديني تمثل في محاربة العقيدة الإسلامية، والسلاح اللغوي تمثل في محاربة اللغة العربية لغة القرآن الكريم .

والسلحاحان بالقياس إلى الإسلام والمسلمين لا يفترقان ولا يختلفان، وذلك أن الإسلام منذ بدأ دعوته إلى إقامة مجتمع عالمي قرآني، أدرك أهمية حدة اللغة في إقامة هذا المجتمع ... ولذلك ربط هذا الربط المحكم... بين العقيدة واللغة، حين جعل الذكر عربيا غير ذي عوج " (فيصل ١٩٨٥، ص ٢٩١) .

ولذا كان من أهم أهداف التحديات بشكل عام ، وتدخل من ضمنها أيضا

أهداف التحدي اللغوي، ما يلي :

١. إزالة الهوية الإسلامية من روح الأجيال وشخصياتهم .
٢. إزالة الهوية الإسلامية من حضارتهم ونظمهم وقيمهم .
٣. إشعارهم بعدم قدرتهم على بناء حضارة إسلامية معاصرة ...
٤. إذابة كل المقومات الإسلامية في بوتقة الثقافات والحضارات الغربية .
٥. تمزيق الوحدة الإسلامية وتشيت شملهم .
٦. استعمار عقول المسلمين وأرواحهم بالأنظمة التعليمية والتربوية ومناهجها الغربية (بالجن ١٩٩١، ص ١٢) .

مظاهر التحدي اللغوي :

لقد دقت دراسات المستشرقين للإسلام ولعقيدته ولغته ناقوس الخطر لدى الغربيين، وظهر لهم أن التصدي لقوة الإسلام مباشرة أمر فيه شيء من الصعوبة، فاتخذوا من محاربة اللغة -التي لها ارتباط وثيق بالعقيدة -حربا غير مباشرة في مواجهة عالمية الإسلام، يقول أحد المستشرقين: " إن العربية أصبحت اللغة العالمية في جميع الأقطار التي دخلها العرب، حيث خلفت تماما اللهجات التي كانت مستعملة في تلك البلاد كالتسريالية واليونانية والبربرية والقبطية..." (الحقي ١٩٨٠، ص ١٣) .

فجند الأعداء كل إمكانياتهم وقدراتهم للوقوف أما هذا التيار، والحد منه، والعمل على إضعافه لأن في ذلك حد من المد الإسلامي " ومن هنا كانت الأسلحة التي ووجه بها من قبل خصومه أسلحة مزدوجة الرؤوس مزدوجة الأهداف، ما يتجه منها للعقيدة لا ينسى اللغة، وما يتجه منها إلى اللغة يهدف كذلك في ذات الوقت إلى العقيدة " (فيصل ١٩٨٥، ص ٢٩٢) .

فاستخدموا عددا من الوسائل لحرب اللغة تظهر لنا جليا من خلال مظاهر التحدي اللغوي الآتية:

أولا : الاستعمار اللغوي

عندما أظلمت بلاد المسلمين بالاستعمار الغربي، لم يكن تأثير ذلك الاستعمار على الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية فحسب ؛ بل تجاوز ذلك إلى التأثير على الدين واللغة، مما جعلنا نتناول أول مظاهر التحدي اللغوي تحت مسمى (الاستعمار اللغوي)، الذي يعدّ من أهم أسباب ضعف اللغة العربية والنزول بها دون منزلتها ؛ لأن المستعمرين يهدفون إلى أن " يهدمون الأمة في لغتها وآدابها، لتتحول عن أساس تاريخها الذي هي أمة به ولن تكون إلا به " (حسين ١٩٧٢، ص ٢٤٥) . وقد تمثل ذلك الاستعمار اللغوي في نشر اللغات الأجنبية بين أبناء المسلمين: يقول المستشار الفرنسي الجنرال بيي كيلر: " إن انتشار لغتنا، وإشعاع ثقافتنا، وأعمالنا الإنسانية، وعظمة الأفكار والعبقريّة الفرنسية، هي الأعمال المكملّة لنا وسوف لن نهملها أبدا " (حسين ١٩٧٢، ص ٢٨٦) وهذا يعني أن انتشار لغتهم على حساب اللغة العربية واحدا من أهم مقومات نجاحهم الاستعماري مما يجعلهم يعملون لتدميره .

يقول (بوجن ١٩٩١، ص ٣٢) مبينا أن عمل الداعين إلى نشر اللغات الأجنبية يهدف إلى إبعاد الشعوب الإسلامية عن تراثهم وحضارتهم : " وأحيانا يجري التغيير رغما عنهم، كما أجرت روسيا تغييرات في لغات الأقليات الإسلامية لإبعادهم عن تراثهم وعن ماضيهم " .

وحتى بعد استقلال الدول الإسلامية من الاستعمار إلا أن الاستعمار الثقافي ظل مسيطرا على تلك الدول مؤثرا على هويتها " لقد عملت فرنسا على فرض نظام (ازدواجية لغة التعليم) على المغرب غداة استقلاله ... باعتبار أن الفرنسية تمثل نموذجا لسانيا كاملا بذاته، قوامه التقنية والعلمية والعقلانية وهو ما من شأنه أن يساهم في بناء المغرب الجديد " (المقري ٢٠٠٢، ص ٥١) وهذا واحد من أساليب الفرنكوفونية في فرض السيطرة والنفوذ السياسي والاقتصادي من خلال حضورها اللغوي والثقافي " ولذلك نجدها قد أسرعت إلى توجيه عقول المغاربة عن طريق ترسيخ سياسة لغوية تعليمية قائمة على فرنسة الأجيال الصاعدة، هدفها الأساسي القضاء على اللغة العربية باعتبارها لغة حضارة عريقة وتراثا إنسانيا خالدا " (المقري ٢٠٠٢، ص ٥١) .

إن عناية الاستعمار بشكل عام بنشر اللغات الأجنبية بين أبناء المسلمين فيه دلالة واضحة على خطورة الدور الذي تلعبه اللغة في حياة أي أمة، يقول هاردي كاشفا العلاقة بين اللغة والثقافة والمجتمع: " اللغة الفرنسية التي سنتمكن بواسطتها من ربط التلاميذ بفرنسا " (الصمدي ٢٠٠٢، ص ٣٤) فإذا كان المستعمر يرى أن في نشر لغته عاملا مهما للتواصل مع ثقافته، ونقلها، ومن ثم بقاء تلك الثقافة، فإن الإسلام أخرج إلى تلك الرؤية لأن في بقاء العربية بقاء لفهم الإسلام وقيمه ومثلته مبادئه .

إن الاستعمار يهدف إلى إماتة اللغة العربية لأن ذلك " سيتبعه حتما موت الإسلام، والاستعمار الجديد دأب على بلوغ هذا الهدف، وما هي ذي فرنسا تراقب عملية التعريب و تطورها بحذر شديد وتعمل على إعاقتها ؛ والغرض هو فصل مسلمي المغرب عن تاريخهم الروحي والثقافي " (المقري ٢٠٠٢، ص ٥٣) .

ثانيا : تدريس بعض العلوم باللغات الأجنبية

لقد ترسخ في ذهن الكثير من أبناء المسلمين أن هناك بعض التخصصات لا يمكن أن تدرس باللغة العربية، وأنها غير قادرة على تدريس العلوم الطبية والهندسية مثلا، مما يشكل تحدي لغوي خطير، وهذه صورة من صور التحدي اللغوي الذي

غرسه الأعداء حيث " جعلوا كثيرا من العلوم والمعارف بلغاتهم كالطب والهندسة والعلوم " (الباتلي ١٤١٢، ص ١١) .

إن النظر إلى العالم من حولنا في " دول أوربية مثل ألمانيا وهولندا وفنلندا والسويد والدنمارك والنرويج ودول أسيوية مثل اليابان فإننا نجد كلا منها تدرس الطب بلغتها، مع أنها مجتمعة لا يبلغ تعدادها تعداد الأمة العربية مجتمعة، حتى الكيان الصهيوني ... تمكن من إحياء لغته العبرية من موات، وأصبح يدرس كل المعارف بها " (السباعي ٢٠٠٠، ص ٣٠) وهذا التحدي اللغوي يحتاج إلى إرادة قوية تساعد على تعريب كل العلوم " فإذا ما أصبح التعليم بلغة واحدة هي العربية تيسر لنا وسيلة من وسائل اللقاء الفكري " (السباعي ٢٠٠٠، ص ٣١) .

ثالثا : إطلاق العديد من الدعاوى الكيدية ضد اللغة العربية

لاشك في أن للحرب الإعلامية دورها الكبير في سيطرة الأقوى، وتقبل رؤاه، حتى وإن كانت تلك الدعاوى والرؤى تخالف الحق، وتتافي القناعات .

إن إلصاق التهم، وتحريض الآخرين بالطعن في اللغة العربية حرب أخرى خاضتها هذه اللغة من أعدائها تارة، ومن أبناء جلدتها تارة أخرى، وقد تتابعت الطعنات، وتصدى لها من تصدى من المخلصين الصادقين حماة العربية والدين .
وتتمثل هذه الدعاوى والتهم فيما يلي :

١. أن اللغة العربية لغة الدين وليست لغة الحياة " وكان هذا التفريق من أول ما دخل به على الإسلام، وكان في مقدمة ما أتى منه المسلمين، وكان منطلقا لكثير جدا من ألوان الغزو في ضروب الحياة والفكر " (فيصل ١٩٨٥، ص ٢٩٣) يقول طه حسين مؤيدا ذلك : " وفي الأرض أمم متدينة كما يقولون، وليست أقل منا إثارا لدينها ولا احتفاظا به ولا حرصا عليه، ولكنها تقبل من غير مشقة ولا جهد أن تكون لها لغتها الطبيعية المألوفة التي تفكر بها وتصطنعها لتأدية أغراضها، ولها في الوقت نفسه لغتها الدينية الخاصة التي تقرأ بها كتبها المقدسة وتؤدي فيها صلاتها... " (حسين ١٩٧٢، ص ٢٤٢) وكلامه هذا يشير إلى الدعوة إلى تطور

وليس تطوير اللغة لتكون لغة معاصرة نستطيع أن نواكب بها الحضارة الغربية، وهذه دعوى باطلة .

٢. أن اللغة العربية لغة الماضي وليست لغة المستقبل، وأنها لغة الشعر والأدب و ليست لغة العلم والحضارة الجديدة (فيصل ١٩٨٥، ص ٢٩٢)، حيث زعموا أنها " لغة قديمة عاجزة عن مجاراة التطور العصري، قاصرة عن مباراة اللغات الحية في العلوم " (بن عبد الله ٢٠٠٠، ص ٣٤) .

٣. أن اللغة العربية صعبة وعسيرة " وأن قواعد النحو عسيرة الفهم ... و نادوا بحذف أكثر أبواب النحو بحجة أنها لا تتناسب الطلاب في العصر الحاضر " (الباتلي ١٤١٢، ص ٢٥) .

وقد ذكر (حسين ١٩٧٢، ص ٢٣٩) ما قاله طه حسين من أن " اللغة العربية عسيرة، لأن نحوها ما زال قديما عسيرا، ولأن كتابتها ما زالت قديمة عسيرة " وزعم أن نفور الطلاب من تعلمها هو قدمها . وغرسوا بذلك في أذهان الناشئة تلك الصعوبة حتى اقتنعوا بها، بل وأصبحوا و أمسوا وهم يرددون هذه المقولة .

٤. أن الإعراب لا داعي له " بل يكفي بالوقف على السكون ، وجعل ذلك ديدنا في آخر كل كلمة " (الباتلي ١٤١٢، ص ٢٥) وهذا مدخل خطير لأن الدعوة إلى إلغاء الإعراب هي دعوة لإلغاء المعنى، فالإعراب هو الإفصاح والإبانة، وبه تتضح معالم المعاني، ويفهم المقصود، يقول (فيصل ١٩٨٥، ص ٢٩٣) : " فدعوا إلى إلغاء الإعراب كله ... واحتجوا بأنهم إنما يقصدون إلى المعنى... على حين أن الإعراب نفسه، في جوهره إنما يقوم على رعاية المعنى " .

رابعا : الترويج للعامية وإهمال الفصحى

وهو مظهر خطير من مظاهر التحدي اللغوي، عمل الأعداء على الترويج له ودعمه بشتى الوسائل ومختلف الطرق " بدعوى أننا نتكلم العامية سليقة ونتكلم الفصحى تعلمنا... ولقيت الدعوة إلى العامية من يتلقفها من أصحاب العربية أنفسهم ومن أبنائها... ولقيت من أعدائها من يحاول أن يقعد قواعدها، ويجمع مفرداتها،

ويدرس أساليبها، كما وجدت من يزكياها على أنها ضرب من تطور العربية الأم " (فيصل ١٩٨٥، ص ٣٠٢) .

وكانت بداية هذه الدعوة "في أواخر ١٨٨١م، حين اقترح (المقتطف) كتابة العلوم باللغة التي يتكلمها الناس في حياتهم العامة ... ثم هاجت المسألة مرة أخرى في أوائل ١٩٠٢م حين ألف القاضي ولمر كتابا عما سماه لغة القاهرة، وضع لها فيه قواعد، واقترح اتخاذها لغة للعلم والأدب ... وثارَت المسألة من جديد حينما دعى إنجليزي آخر سنة ١٩٢٦م إلى هجر اللغة العربية ... فترجم أجزاء من الإنجيل إلى ما سماه (اللغة المصرية).... ثم بدا أن الدعوة آخذة في الانتشار حين اتخذت اللهجة السوقية في المسرح الهزلي، ثم انتقلت إلى المسرح الجدي " (حسين ١٩٧٢، ص ٣٥٩-٣٦١) .

خامسا : تغيير الحرف العربي

من أوائل التحديات اللغوية التي وجت للغة العربية العمل على تغيير الحرف العربي، واستبداله بالحرف اللاتيني، وكانت البداية على يد مصطفى كمال أتاتورك الذي كان يزعم أن هذا التغيير بالنسبة لتركيا سوف " يدخل بها عالم الكتابة الغربية ويستفيد من كل تسهيلاتهما، والأهم من كل هذا أنها كانت تخلص الذهن التركي من منابع العربية التي كانت قد امتدت حتى جذوره " (الرجل الصنم ١٩٩٢، ص ٣٣٤) .

إن الحديث عن صعوبة الحرف العربي وتعدد أشكاله، وتعدد كتابته، والشواذ في كتابة بعض القواعد الإملائية هي التي اتخذ منها حاملو لواء هذه الدعوة الجائرة ذريعة لتنفيذ مخططاتهم، مع أنهم يدركون أن للحرف العربي خصائص الرمزية والصوتية التي لا يجاريه فيها أي حرف آخر إلا أن هذه انهجمة " لم شكل العيب على الحرف العربي واتهامه دائما، وإنما اتجهت إلى إبادته... ومغادرة هذا الماضي كله الذي وسع حضارة الإنسانية وغذاها ونماها، وإتلاف كل ما انتجته العقول العربية والإسلامية مرة واحدة " (فيصل ١٩٨٥، ص ٢٩٩) .

مسؤولية التربية الإسلامية في مواجهة التحدي اللغوي

يواجه العالم الإسلامي مجموعة من التحديات المعاصرة، تحديات حضارية عقديّة واجتماعية واقتصادية ولغوية... هذه التحديات تتطلب المواجهة والمبارزة ومقابلتها بتحد أقوى، يساعد في بناء حضارة إسلامية راسخة، على أسس متينة، تمننا من تجاوز كل هذه المحن، وتخطي كل هذه الظروف .

ولا شك في أن هذه المواجهة تتطلب أيضا عزيمة قوية، وإرادة جبارة، تسعى للعمل على التغلب على كل هذه التحديات، وتحتاج إلى الطرق والأساليب الناجعة للتصدي لمثل هذه الغزوات المتكررة، وسيلنا إلى ذلك هو التربية، وليست التربية فحسب بل التربية الإسلامية .

فالإسلام هو الحل، وهو القادر على تحقيق الهدف، وبناء الحضارة، من خلال بناء المسلم الصالح ذي الشخصية المتكاملة من جميع الجوانب .

مفهوم التربية الإسلامية وأهدافها وخصائصها

قبل أن نتحدث عن مفهوم التربية الإسلامية لابد وأن نبدأ من مفهوم التربية في اللغة والاصطلاح، ومن ثم نصل إلى مفهوم التربية الإسلامية .

التربية في اللغة :

يقول (ابن فارس د. ت، مادة " ربب ") : " (رب) الرأء والبأء يدلُّ على أصول. فالأول إصلاح الشيء والقيامُ عليه. فالرَّبُّ: المالكُ، والخالقُ، والصَّاحِب. والرَّبُّ: المُصْلِحُ للشيء.

والأصل الآخرُ لزوم الشيء والإقامةُ عليه، وهو مناسبٌ للأصل الأول. يقال أَرَبْتُ السَّحَابَ بهذه البلدة، إذا دَامَتْ. وأَرْضَ مَرَبٌ: لا يزال بها مَطَرٌ؛ ولذلك سُمِّي السَّحَابُ رَبَابًا.

والأصل الثالث: ضمُّ الشيء للشيء، وهو أيضاً مناسبٌ لما قبله .

ويقول (ابن منظور د. ت، مادة " ربب ") : " الرَّبُّ يُطْلَقُ في اللغة على المالكِ، والسَّيِّدِ، والمُدَبِّرِ، والمُرَبِّي، والْقَيِّمِ، والمُنْعِمِ ... وَرَبَّيْهَا: نَمَّأَهَا، وَزَادَهَا، وَأَتَمَّهَا، وَأَتَمَّهَا... وَرَبَّيْتُ الأَمْرَ، أَرَبُّهُ رَبًّا وَرَبَابَةً: أَصْلَحْتُهُ وَمَتَّنْتُهُ .

وقد ذكر (سويد ١٩٨٨، ص ٢٠) أن لمعنى التربية ثلاثة أصول :
" الأول : ربا يربو بمعنى زاد ونما . والثاني : ربي يربي ... ومعناها : نشأ وترعرع . والثالث : ربّ يربّ ... بمعنى أصلح وتولى " .

وبتأمل هذا المعنى لكلمة تربية نجد أننا في ميدان التربية نهدف إلى جميع هذه المعاني، فالتربية زيادة ونمو، وهي نشأة وترعرع، وإصلاح وتولي ؛ وهذا ما يوضحه لنا ما سنورده من تعريفات للتربية عند عدد من التربويين .
التربية في الاصطلاح :

كان تعريف التربويين للتربية منطلقاً من المعنى المعجمي للكلمة، فتطلق " على كل عملية أو مجهود أو نشاط تؤثر في سلوك الإنسان أو تكوينه، أيا كان مصدر هذه العملية سواء أكان الإنسان نفسه، أم البيئة الطبيعية، أم المجتمع الذي يعيش فيه " (الدخيل ١٤١٨، ص ١٢) .

ويرى (الدخيل ١٤١٨، ص ١٢) أن المفهوم الشامل للتربية " أنها الوسيلة التي تساعد الإنسان على بقاءه واستمراره، وذلك ببقاء قيمه، وعاداته، ونظمه السياسية، والاجتماعية والاقتصادية " فالبقاء والاستمرار مرتبطان بعدة عوامل أساسية في النمو والتقدم .

يقول (النحلاوي ١٩٨٢، ص ٤) في حديثه عن معنى التربية عند الغربيين : " يكاد يجمع فلاسفة التربية الحديثة على أن التربية هي تحقيق النمو والحياة لدى الناشئة " .

ويعرف (ريان ١٩٩٣، ص ١٩) التربية بأنها " عملية توثيق الصلة بين الناشئ والبيئة في ظروف معينة تعينه على النمو في الاتجاه المرغوب فيه " .

كما عرّفها (عكلة وآخرون ١٩٨٤ ص ٧) بأنها " نشاط إنساني فردي واجتماعي متواصل، يهدف إلى نمو الفرد متكيفاً مع بيئته الطبيعية والاجتماعية، لتمكينه من أن يكون نفسه، وأن ينمي ويطور قدراته الذاتية إلى أقصى حد تسمح به طاقاته وإمكاناته، وتسمح به كذلك بيئته الاجتماعية والثقافية " .

وبعد هذه الجولة في مع كلمة (تربية) يكاد يكون هناك أجماع على المعنى الذي نستخدمه الآن، من حيث الزيادة والنماء، والإصلاح والقيام على الشيء ، والتكفل به وجمعه ورعايته وحضائنه، وكل هذه المعاني هي ما تعنى بها التربية الحديثة بأهدافه وأساليبها المختلفة كما لاحظنا من خلال جولتنا في كتب التربية الحديثة.

مفهوم التربية الإسلامية

يتفق مفهوم التربية الإسلامية مع مفهوم التربية بشكل عام في جوانب ويختلف معه في جوانب أخرى، فإن كان معنى التربية يدور في فلك النمو والزيادة وبناء المواطن الصالح، والتقدم في هذه الحياة الدنيا، فإن التربية الإسلامية تهدف إلى بناء الإنسان الصالح الذي يعمر الأرض على نهج رباني.

وإذا كانت التربية الغربية نتاج العقل البشري القاصر ؛ فإن التربية الإسلامية ربانية المصدر، من صنع رب البشر، فهي " نظام تربوي متكامل، يقوم كل جانب فيه على تعاليم الإسلام، ومفاهيمه، ومبادئه، ومقاصده، ولهذا فهي تختلف عن جميع الأنظمة التربوية من حيث: مصادرها، أهدافها، وأسسها، ومبادئها، ومؤسساتها، وأساليبها، وخصائصها... وهي النظام المنبثق من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الهادفة إلى تنشئة المسلم وتوجيه جوانب نموه المختلفة " (الدخيل ١٤١٨، ص ١٢-١٣) .

وعرفها (النجار ١٤١٦هـ، ص ٨٥) بأنها : " النظام التربوي القائم على الإسلام بمعناه الشامل ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ [الأنفال : ٣٩] .

و عرفها (مقداد يالجن، ١٤٠٩هـ، ص ٢٠) بأنها " إعداد المسلم إعداداً كاملاً من جميع النواحي في جميع مراحل نموه للحياة الدنيا والآخرة في ضوء المبادئ والقيم وطرق التربية التي جاء بها الإسلام .

ويقول (الشهري) : " إن مفهوم التربية الإسلامية يتضح في كونها أحد فروع علم التربية الذي يتميز في مصادره الشرعية (المتمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وراث السلف الصالح)؛ و غاياته (الدينية الدنيوية)، ويقوم

على نظام تربوي مُستقل و مُتكامَل، ويعتمد اعتماداً كبيراً على فقه الواقع، ولا بد له من متخصصين يجمعون بين علوم الشريعة وعلوم التربية ؛ حتى تتم معالجة القضايا التربوية المختلفة من خلاله معالجةً إسلاميةً صحيحةً ومناسبةً لظروف الزمان والمكان " .

أهداف التربية الإسلامية :

للتربية الإسلامية مجموعة من الأهداف يمكن أن نجملها فيما يأتي :

١. تعريف الإنسان بخالقه وبناء العلاقة بينهما على أساس من ربانية الخالق وعبودية المخلوق ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [الذاريات : ٥٦] .
٢. تطوير سلوك الفرد وتغيير اتجاهاته بحيث تتسجم مع الاتجاهات الإسلامية .
٣. تدريب الفرد على مواجهة متطلبات الحياة المادية .
٤. إعداد أمة إسلامية قائمة على روابط العقيدة الإسلامية وتشريعاتها العادلة .
٥. توجيه المسلمين لحمل الرسالة الإسلامية إلى العالم .
٦. غرس الإيمان بوحدة الإنسانية والمساواة بين البشر (علي وآخرون ٢٠٠٥، ص ٦١-٦٣) .

خصائص التربية الإسلامية :

تتميز التربية الإسلامية عن غيرها بعدد من الخصائص، يمكن نجملها

فيما يأتي:

١. التربية الإسلامية ربانية المصدر: بمعنى أنها تستمد أهدافها من كتاب الله وسنة رسوله ...
٢. التربية الإسلامية تربية شاملة: ... فالتربية الإسلامية لا تقتصر على جانب واحد من جوانب شخصية الإنسان إنما تهتم بجميع جوانب الإنسان عقله وجسمه وانفعالاته الاجتماعية ...
٣. التربية الإسلامية تربية متوازنة: ...توازننا بين النظرية والتطبيق، وتوازننا بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة، وتوازننا بين أشواق الفرد الروحية وتلبية حاجاته المادية والاجتماعية ...
٤. التربية الإسلامية تربية علمية : تربط التربية الإسلامية بين العلم والعمل به ...

٥. التربية الإسلامية تربية فردية واجتماعية ...
٦. التربية الإسلامية تربية مستمرة : نادى الإسلام بتربية تمتد من المهد إلى اللحد ...
٧. التربية الإسلامية تربية متجددة ومحافظة ...
٨. التربية الإسلامية تربية لكافة البشر ... (الخطيب وآخرون ٢٠٠٤، ص ٧٤-٨٠).

اللغة والتربية

قبل الحديث عن دور التربية الإسلامية في مواجهة التحدي اللغوي، حري بنا أن نتحدث عن علاقة اللغة بالتربية ، وما يتوقف على تلك العلاقة في منظومة التربية والتعليم بكل عام .

إن اللغة وإن كانت وسيلة تستخدم في التعلم إلا أن " لها من الأهمية ما يجعلها شبيهة بالغاية، فإذا جاء المربون اليوم ليعددوا وظائف التعليم جعلوا اللغة في مقدمة هذه الوظائف، من أجل ذلك تحتل اللغة مركزا ممتازا في مناهج التعليم في جميع أنحاء العالم " (شهلا وآخرون ١٩٨٢، ص ١٤١-١٤٢) فهي أداة الاتصال والتفاهم بين الناس، وهي أداة للتعبير عما في النفس، وهي وسيلة رئيسية للتعليم والتعلم، كما أنها أداة للتفكير .

مسؤولية التربية الإسلامية في مواجهة التحديات

إذا كانت هذه هي التربية الإسلامية، وهذه هي أهدافها وخصائصها، فإن الدور الذي ينبغي أن تقوم به في مواجهة هذه التحديات، ومن ضمنها التحدي اللغوي سيكون في ضوء هذه الفلسفة التربوية العظيمة .

فالتربية على أساس من ذلك هي " رعاية الإنسان في جوانبه الجسمية والعقلية والعلمية واللغوية والوجدانية والاجتماعية والدينية وتوجيهها نحو الصلاح والوصول بها إلى الكمال، وغاية التربية الإسلامية هي تحقيق العبودية الخالصة لله في حياة الإنسان على مستوى الفرد والجماعة والإنسانية، وقيام الإنسان بمهامه المختلفة

لعمارة الكون وفق الشريعة الإلهية " (توصيات المؤتمرات التعليمية الإسلامية الأربع ١٩٨٣، ص ١٥) . وكل ذلك لا يمكن أن يتحقق إلا " بتحقيق الأمور الآتية:

الأمر الأول : بناء شخصية إسلامية متكاملة الجوانب ...

الثاني : القيام بتطعيم أبناء الأمة ضد تلك الإيدولوجيات الغازية ...

الثالث : منع كل تلك الأساليب والوسائل لنشر تلك الإيدولوجيات الغازية ...

الرابع : تكوين الشعور بالاعتزاز بالعقيدة والقيم الإسلامية ...

الخامس: تكوين الإيمان بقدرات المسلمين على إقامة حضارة إسلامية عصرية

(بالجن ١٩٨٩، ص ١٦٩-١٧١) .

ونحن سوف نناقش كل هذه الأمور من خلال الحديث عن مسؤولية مؤسسات المجتمع التربوية - الأسرة، المدرسة، المسجد، وسائل الإعلام - في مواجهة التحدي اللغوي .

أولا : مسؤولية الأسرة في مواجهة التحدي اللغوي

الأسرة هي المحض الأول الذي ينشأ فيه الأبناء، وهي البيئة التي يستقون منها أخلاقهم واتجاهاتهم، وفيها تتشكل شخصياتهم ،والمقصود بها " الجماعة المكونة من الزوج والزوجة وأولادهما غير المتزوجين الذين يقيمون معا في مسكن واحد " (الخولي ١٩٨٤، ص ٤٠) .

إن تربية الأولاد مسؤولية الأب والأم، ولذا كان لزاما عليهما إصلاح أنفسهما لأن في ذلك صلاح لأبنائهما، ومن أجل حقوق الأبناء على الآباء " التربية والتعليم، والأصل في هذا قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) [التحريم : آية ٦) (أيوب د.ت، ص ٢٣٩) وقول الرسول ﷺ: « كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَّةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ... » (البخاري، رقم الحديث ٩٠١) ومن خلال هذه المسؤولية تكون التربية الحسنة

للأولاد مهمة عظيمة وكبيرة، لا بد وأن تضطلع بها الأسرة المسلمة، فتقوم بكل واجباتها وفق تعاليم الإسلام وتوجيهاته .

إن الأب هو قائد الأسرة، وقيامه بهذا الدور القيادي، يدعم من وضع الأسرة في المجتمع -فهي لبنة من بناء ذلك المجتمع- ذلك الدور الذي يجعل منه أول قدوة للأبناء، يتبعونها، ويسيروا على خطاها .

وللأم دورها التربوي الذي لا يقل أهمية عن الأب، فكما وصى الرسول ﷺ الرجل برعيته، واعتبره مسؤول عنها، وصى المرأة كذلك ببيتها، وعذاها مسؤولة عنه " بل مسؤوليتها أهم وأخطر، باعتبارها ملازمة لولدها منذ الولادة إلى أن يشب وترعرع" (علوان ٢٠٠٢، ١/١٠٦) فتوليهم اهتمامها، تتصحهم، وتوجههم في كل وقت، تغرس فيهم القيم الإسلامية، وتنميها، حتى يشبوا عناصر مشرقة في مجتمعاتهم.

ومن أعظم أساليب الرسول ﷺ التربوية، التربية بالقدوة، فكان خلقه العظيم أسوة حسنة لأصحابه وللمسلمين أجمعين، والتربية بالقدوة وسيلة مهمة في تربية الأبناء على مبدأ الصدق، فلا يكفي التوجيه القولي فقط، بل لا بد من التوجيه الفعلي والالتزام بالصدق مع الأبناء ومع غيرهم .

والوالدان لهما أكبر الأثر في نفس الطفل، فهما قدوته " إذ كثيرا ما يقلد الطفل والديه حتى أنهما يطبعان فيه أقوى الآثار فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه . فإذا ما رأى الطفل والدين يحرصان على التحدث بالفصحى في حدود معينة فإن ذلك يسهم بشكل كبير في تنمية قدراته اللغوية فيما بعد .

إن هذا الدور التربوي في إحياء اللغة العربية الفصحى في الأسرة غير موجود " ويكاد يكون حلما من الأحلام . فعلى أن نتعاون من أجل إيجاد هذا المنزل النموذجي في المستقبل القريب أو البعيد، ويكفي في هذه المناسبة أن نوصي بالعناية باللغة العربية منطوقة ومكتوبة في المنزل " (با جودة ١٤٠٠، ص ١٥) .

ثانيا :مسؤولية المدارس والجامعات في مواجهة التحدي اللغوي

المدرسة هي المؤسسة التربوية الثانية بعد الأسرة التي تقوم على تربية النشء، وتضطلع بالدور الكبير في إكساب الأبناء المهارات المختلفة، فهي تعمل على " تحقيق الخلق القرآني في المسلم والتأكيد على الضوابط الخلقية لاستعمال المعرفة..." (وزارة المعارف ١٩٩٥، المادة ٣٠) وخاصة في مراحل التعليم الأولى حيث تعمل على " أخذ الطفل بأداب السلوك، وتيسير امتصاصه الفضائل الإسلامية والاتجاهات الصالحة بوجود أسوة حسنة وقدوة محببة أمام الطفل" (وزارة المعارف ١٩٩٥، المادة ٦٥) فتقوم بدور أساسي في بناء الأفراد الذين هم لبنة من لبنات هذا المجتمع ؛ وذلك من خلال العاملين في هذه المؤسسة التربوية من مدير ومرشد طلابي ومعلم ، أو من خلال المقررات الدراسية، أو النشاط الطلابي ...

ويمكن " تلخيص وظيفة المدرسة الحديثة فيما يلي :

أولا : تزويد النشء في فترة محدودة من السنوات بمهارات الكبار وخبراتهم وتجاربهم الكثيرة التي لا يمكنهم الحصول عليها بطريقة عشوائية .

ثانيا : تنقية هذه الخبرات وهذه التجارب والمهارات من الشوائب التي تفسد نمو التلميذ وتسيء إلى تربيته " (رضوان ١٩٧٨، ص ١١) .

والجامعة وهي تعمل على تنمية المجتمع والرقى به من خلال البحث العلمي، لها دور كذلك في بناء التربية السليمة، وإكمال مسيرة التقدم والرقى، والعمل المؤثر في كافة المستويات لتحقيق أهداف التربية الإسلامية .

ويمكننا أن نلخص مسؤولية المدرسة والجامعة في مواجهة التحدي اللغوي

في النقاط الآتية :

١. العناية باللغة العربية من كافة جوانبها، لأنها مفتاح فهم كل العلوم المعرفية " القائمة على ألروحي والمتمثلة في القرآن والسنة وما يستنبط منها " (توصيات المؤتمرات التعليمية الإسلامية الأربع ١٩٨٣، ص ١٥) .

٢. العمل على نشر اللغة العربية خارج الوطن العربي وخصوصا حينما نعلم أن " اللغات الفارسية والأردية والبشتو والبنجابية والكارنوي والماليزية والهوسا

وفيل السنغالية كلها لغات تكتب حروفها عربية ويضاف إليها التركية قبل أن
يبدل أتاتورك حروفها إلى اللاتينية ... وجعل الشعوب الإسلامية قاطبة تتكلم
العربية كلغة أم، توسيعا لرقعة العالم العربي وتكثيرا للعرب بما يعنيه ذلك من
كسب عددي وحضاري وعلمي وعسكري وسياسي " (الجهني ٢٠٠٠، ص ٤٠)
فبدلا من مواجهة التحديات الغوية نوجه تحديثنا اللغوية .

٣. تكوين الحصانة لدى المتعلمين " ضد التحديات المعاصرة حتى لا يتأثروا بها ...
عن طريق تكوين اعتزاز بما لديهم وبتكوين روح المقاومة " (بالجن ١٩٩١، ص
٥١) .

٤. وضع خطوات عملية للتعامل مع الازدواجية اللغوية، وهي على نوعين " الأولى:
هي الكائنة بين اللغة العربية ولغات أجنبية على رأسها الفرنسية والإنجليزية ...
أما الازدواجية الأخرى ... فهي الازدواجية بين الفصحى والعامية " (الجهني
٢٠٠٠، ص ٤١-٤٢) .

٥. العناية باللغة العربية بجميع فروعها " واعتبارها مادة إجبارية في كل أقطار
العالم الإسلامي " (توصيات المؤتمرات التعليمية الإسلامية الأربع ١٩٨٣،
ص ١٦) .

٦. العمل على إعداد معلم اللغة العربية إعدادا شاملا، بحيث يكون قادرا على تعلم
وتعليم جميع المهارات اللغوية .

٧. الاهتمام باللغة العربية بحيث تكون لغة التدريس في البلاد العربية بجميع مراحل
التعليم بما فيها التعليم الجامعي، وفي العلوم كافة الأمر الذي يقتضي إعادة النظر
في مناهج اللغة العربية بما يمكن من تقويم لسان التلاميذ وتقوية ذخيرتهم فيها في
سن مبكرة، ويكون ذلك عن طريق الاعتماد الكلي على نصوص من القرآن
والسنة ومقتطفات من الأدب العربي الرفيع (توصيات المؤتمرات التعليمية
الإسلامية الأربع ١٩٨٣، ص ٦٠) .

٨. توجيه المعلمين وحملهم "على أن يتكلموا في المدرسة باللغة الفصحى" (با جودة
١٤٠٠، ص ١٧) قدر الإمكان، على اختلاف تخصصاتهم .

٩. توجيه وحمل الطلاب كذلك علة " ممارسة الحديث باللغة العربية الفصحى، وتحويل قواعد النحو التي درسوها إلى تطبيقات عملية " (با جودة ١٤٠٠، ص ١٧) .

١٠. العمل الجاد لإيجاد مصطلحات أصيلة تستوعب كل المصطلحات العلمية الحديثة والأجهزة الحديثة (يالجن ١٩٩١، ص ٥٣) .

١١. تكوين الشعور للاعتزاز باللغة العربية وبأهميتها التراثية والإسلامية (يالجن ١٩٩١، ص ٥٢) .

١٢. تأصيل التعليم في جميع الجامعات والتأليف باللغة الأم (يالجن ١٩٩١، ص ٥٣) وجعلها اللغة الأولى في البحث العلمي في جميع التخصصات من خلال عملية التعريب.

١٣. تعليم اللغة من خلال الأنشطة المدرسية المختلفة، مثل الإذاعة المدرسية والمسرح والصحافة والمسابقات الثقافية والأدبية، فهي أرض خصبة للتلقي والتلقين .

١٤. الاعتماد على القرآن الكريم وصحيح الحديث الشريف في التمثيل والشرح، وإعطاء النماذج اللغوية المختلفة للمحاكاة والاحتذاء .

ثالثا : مسؤولية المسجد في مواجهة التحدي اللغوي

المسجد في الإسلام مركز الانطلاقة في هذه الحياة بجميع جوانبها، فهو مكان للعبادة، ودار للشورى، ومدرسة للأجيال، وموقع للاجتماعات، وحصن للمجتمعات، ومكان لأعظم العبادات المفروضة ألا وهي الصلاة .

ولأهمية وضرورة وجود المسجد في الإسلام، كان أول عمل قام به الرسول ﷺ ببناء المسجد " ولم يكن المسجد بنائية للصلاة فقط، بل كانت له وظائف أخرى كثيرة تتعلق بسياسة الدولة، وفي هذا إشارة إلى أن المسجد إنما أقيم كمؤسسة محققة لأهداف الإسلام وتحقيق مصالح الدنيا والآخرة " (أبو العيينة د.ت، ص ١٦٨) قال تعالى : (لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ) (التوبة: آية ١٠٨)

ولم يكن المسجد مكانا للعبادة فقط، بل كان مركزا " لغرس القيم والنظام والتنظيم في نفوس رواده، فالصلاة تقام في أوقات محددة ... تربى في الفرد التسوية والتراس بنظام رائع " (عطار ١٩٩٨، ص ٩٢) وتهذب نفسه، وتربي روح الألفة والمحبة بين المسلمين .

وكان للمسجد دور تربوي كبير في بناء جيل الصحابة، فكان معهدا علميا، وجامعة شعبية يتعلمون فيها شتى المعارف والعلوم، وملقى للمسلمين، وكان منتدى للنقاشات وحلقات العلم، ومركز عسكريا وسياسيا لتجهيز الجيوش ورسم الخطط الحربية، والتخطيط لشؤون الدولة، قال الله تعالى : (فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرَفَّعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَكَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ {٣٧} لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) [النور : آية ٣٦ ، ٣٧] .

ويمكن للمسجد أن يلعب دوره في مواجهة التحدي اللغوي من خلال

ما يلي:

١. تربية النفس على الاعتزاز بلغة القرآن الكريم .
٢. تعويد الأبناء التحدث باللغة الفصحى، وتلقينهم آداب المسجد التي ينبغي عليهم الالتزام بها، من خلال رواد المسجد وجماعته .
٣. أن يلتزم إمام المسجد وخطيبه فصاحة اللغة في خطبه ومواعظه وكلماته .
٤. أن يكون المسجد مركزا اجتماعيا، تناقش فيه مشكلات الحي من قبل جماعة المسجد، ووضع الحلول المناسبة لها، ومنها مشكلة التحدي اللغوي .
٥. أن يحرص أعضاء جماعة المسجد على أن يكونوا قدوات صالحة لأبنائهم، في الحرص على سلامة اللغة أثناء التخاطب فيما بينهم .
٦. أن يخصص خطيب المسجد بعض خطبه للحديث عن اللغة العربية وأثرها في حياة الفرد والمجتمع المسلم، ويبين للناس مظاهر التحدي اللغوي وطرق مواجهتها .

٧. إلقاء الكلمات الوعظية والتربوية بعد الصلوات في بعض الأيام لترسيخ أهمية اللغة وأن الشعوب حياتها بلغاتها .

٨. إشباع حاجات الطفل الاجتماعية " لأن الطفل في هذه المرحلة يبحث عن الرفاق ... ويهيئ المسجد، وجماعة القرآن فيه، البيئة الصالحة لهؤلاء الأطفال " (السنن ١٩٩٣، ص ٥٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدَكُمْ مَنْ يُخَالِلُ » (ابن حنبل ، رقم الحديث ٨٠١٥) .

٩. استخدام لوحات المسجد لعرض النشرات والإعلانات التي تحت على الاهتمام باللغة العربية تحدثا وقراءة وكتابة .

إن الدور التربوي للمسجد لن يؤتي أكله، ولن نجني ثماره إلا بـ " العمل على إحياء رسالة المسجد من جديد ليعود كما كان حتى الماضي القريب : مكانا للعبادة، ومدرسة لتعليم الناس القراءة والكتابة وتحفيظهم كتاب الله، وجامعة شعبية مفتوحة تعقد فيها حلقات العلم ... ومجلسا للشورى، ومنندى إسلاميا، ومقرا للقضاء، ومركزا تنطلق منه الجيوش، ودارا لضيافة الوفود، ومركزيا إعلاميا للإسلام " (النجار ١٩٩٥، ص ١٦٤) .

فتتكاتف جهود أفراد المجتمع المسلم، وتتآزر لتعيد للمسجد دوره التربوي، فيتربى في جنباته، ويتغذى من صدى أذانه كل ناشئ، وتستقيم القلوب بالاستقامة لأداء الصلوات، فتهدب أخلاقهم، وتعدل سلوكياتهم قال تعالى: (اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) (العنكبوت : آية ٤٥)

رابعاً : مسؤولية وسائل الإعلام في مواجهة التحدي اللغوي

للإعلام في العصر الحديث أثر قوي، إذ غدا مصدر تلقى رئيس لكثير من المعلومات، التي تحوي عددا من القيم والمبادئ، التي يتأثر بها الفرد والمجتمع سلبا أو إيجاباً، بشكل مباشر أو ضمني، وعلى هذا يأتي مبدأ الصدق من أهم المبادئ التي تؤثر في الناس المتلقين للمواد الإعلامية عبر وسائل الإعلام المختلفة .

إن وسائل الإعلام باختلاف أنواعها أصبحت شريك قوي في تربية المجتمع بمختلف فئاته، فدخلت كل منزل، وأخذت تشارك الأسرة في تربية الأبناء ، فجذبت العقول، بما تقدمه من ثقافات متنوعة في قالب مشوق ومؤثر .

كما أنها " تساعد في عملية التطبيع الاجتماعي، عن طريق نقلها لأنماط السلوك المقبولة ومساندتها، وبالتالي يكتسبها الناس صغارا وكبارا ... وبالتالي تؤثر في تكوين الشخصية " (أبو العينين د.ت، ص ١٧٨) فيقبلها الناس من خلال الاستمرار والتكرار في العرض، والتوجيه المركز، ويتبنون تلك الأفكار، بغض النظر عن صوابها أو خطئها .

وقد تطورت وسائل الإعلام نتيجة للتقدم العلمي والتكنولوجي الهائل في هذا العصر، فازداد بذلك أثرها وخاصة في المجتمعات الحديثة " هذه الوسائل التي تحيط بنا من كل جانب، وتشغل الناس تدخلت كثيرا في صياغة أنماط جديدة للحياة، أو ساهمت في نماء أنماط أخرى على أصعدة شتى " (المنقري ١٤٢١، ص ٢٤) فجعلت من العالم الكبير قرية صغيرة، تتسارع فيها الأخبار والمعلومات من مكان لآخر دون حدود أو قيود .

إن الهدف الذي تسعى إلى تحقيقه وسائل الإعلام الصادقة المخلصة، هو غرس القيم والأخلاق الفاضلة في النفوس، و" توجيه الأفراد بتزويدهم بالمعلومات والأخبار والحقائق لمساعدتهم على تكوين رأي صائب في واقعة محددة، أو مشكلة معينة " (المنقري ١٤٢١، ص ١٨) .

ولعل من أبرز صور تأثير النشء بالمواد الإعلامية ما يلي :

١. الاستيعاب، ونعني به تشرب المواد المبنوثة، وفهمها، وفهم ما تتطوي عليه، وخاصة مع تكرار عرض تلك المواد .
٢. التقليد، وهي طبيعة في الصغار، وربما بعض الكبار، وللبيئة أثر كذلك على هذا السلوك.

٣. التقيص، وهي حالة نفسية اجتماعية تتوحد فيها حالة المشاهد أو القارئ مع النماذج المقدمة له، لإشباع حاجته، أو إرضاء نفسه (أبو العينين د.ت، ص ١٧٨ بتصرف) .

يمكن لوسائل الإعلام أن تلعب دورا مهما في مواجهة التحدي اللغوي من خلال: (الكتاب، التلفاز، الإذاعة، الصحف والمجلات، الإنترنت) .
إن وسائل الإعلام المنضبطة هي التي يكون من أهم ملامحها " التعقل والموضوعية في عرض الحقائق، والبعد التام عن المبالغات والإثارة، والترفع عن المهارات، والاهتداء بالشرعية والدعوة إلى الله والدفاع عن العقيدة الإسلامية... والوقوف بقوة إلى جانب الحق، ومناهضة الظلم والتفرقة والعنصرية " (الفارسي د.ت، ص ١٠١) .

تلك الوسائل التي نستطيع أن نتخذها وسائل للتربية وتعديل السلوك، فالكتاب وسيلة إعلامية مؤثرة، وخاصة إذا كان المجتمع مجتمعا قارئاً، فيستطيع الكاتب أن يسهم في تربية النشء، وغرس القيم، وتوجيه الكبار، وتعديل سلوكهم .
أما التلفاز فإن أثره أقوى، لأن المشاهد يستخدم لاستقبال بثه حاسني السمع والبصر، فيكون الأثر أكبر، واستغلاله لغرس القيم أولى .
وما زال للإذاعة دورها وأثرها في تقديم البرامج المختلفة، والتي تسهم من خلالها في تربية النشء، وغرس السلوك وتوجيه الميول .
والصحافة بجميع ما تنشره، لها أيضا دور فعال في تكوين الرأي العام، وتوجيه المجتمع، من خلال توجيه أفراده .
أما شبكة الإنترنت فقد أصبحت وسيلة مهمة ومؤثرة، لسرعتها في بث المعلومة، وأيضاً تلاحرية التي يتمتع بها مستخدميها .
ويمكن لوسائل الإعلام بمختلف أنواعها أن تواجه التحدي اللغوي من خلال النقاط الآتية :

١. أن تستمد رسالتها من التصور الإسلامي للإنسان والكون والحياة.
٢. أن تتحرى الصدق والموضوعية في جميع ما تبثه أو تنشره، حتى تكسب ثقة

- المتلقي، مما يساعد على تأثره بعد ذلك بما تقدمه من قيم ومثل .
٣. أن يكون هدفها الأول غرس القيم الإسلامية، فتضع في ضوء هذا الهدف جميع الخطط والبرامج المرحلية، وتعمل بكل طاقاتها على تحقيقه .
٤. أن تستخدم الحكمة في مخاطبة الناس (أبو العيينة د.ت، ص ١٨١) " ...التزاما بالتوجيه القرآني : (اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (النحل : آية ١٢٥)
٥. تحقيق الخلق القرآني من المسلم والتأكيد على الضوابط الخلقية (وزارة المعارف ١٩٩٥، المادة ٣٠) « إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق » (ابن حنبل ، رقم الحديث ٨٩٣٩) .
٦. الالتزام باللغة العربية تحدثا وكتابة في جميع ما تقدمه هذه الوسائل، ونبذ العامية واللهجات الإقليمية التي أصبحت الآن واجهة لمعظم الوسائل الإعلامية .
٧. التصدي لأساليب التحدي اللغوي، والرد على الأفكار المنحرفة، والدعوات المضللة، بقوة الرأي، وسداد القول .
٨. إعداد القدوات الصالحة، والعمل على إظهارهم للناشئة، وتدريبهم على مهارات الكتابة أو الإلقاء، والتأثير في الآخرين .
٩. تقديم النماذج المضيئة من العلماء والمفكرين والأدباء، ليتلقى عليهم الناشئة القيم والمبادئ، ويتخذونهم قدوات .
١٠. استخدام أساليب التربية الإسلامية المختلفة في مواجهة هذه التحديات، من ترغيب وترهيب، أو الممارسة والعمل، أو الحوار الهادف، أو القصص والأمثال، أو العبرة والموعظة ... فإن لها أثر كبير في غرس السلوك، وتعديل الاتجاهات.
١١. التنوع في الطرح الإعلامي، وعدم السير على وتيرة واحدة فيمل المتلقي، ويقل التأثير .
١٢. العناية بالطفل وتخصيص جزء كبير له، والعناية بإعداد ذلك في قالب يتوافق مع قدراته ومداركه، ويتم بالتشويق والإثارة .

١٣. اقتباس القيم والأخلاق من تراث الأمة، وتقديمها للناشئة في عرض مشوق جذاب مؤثر بلغة عربية سليمة.

١٤. أن تكون البديل القوي للوسائل المنحرفة التي تهدم القيم والأخلاق، وتدعو إلى الرذيلة والفساد، وأن تقف أمام تلك الوسائل بقوة الحق، وصولاً إلى الصدق.

الخاتمة

وبعد هذه الجولة الممتعة مع مسؤولية التربية الإسلامية في مواجهة التحديات اللغوية

نصل إلى خاتمة هذا البحث، فنذكر أبرز النتائج التي توصل لها الباحث وأهم التوصيات :

أولاً : نتائج البحث

من أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث باختصار ما يلي :

- أن التحدي اللغوي هو تحدي عقدي ، فاللغة والعقيدة وجهان لعملة واحدة .
- أن أعداء الإسلام استخدموا في حرب اللغة مجموعة من الأساليب والطرق المختلفة، فحاربوا الحرف ، والصرف والإعراب ، وادعوا صعوبة النحو ، وعقم العربية .
- أن الاستعمار العسكري خلف وراءه استعماراً لغوياً ، ويبدو ذلك ظاهراً في دول المغرب العربية مثلاً .
- أن الطريق للوقوف دون التحدي اللغوي هو التربية الإسلامية .
- عندما يكون هدف التربية الإسلامية بناء إنسان صالح من كافة الجوانب فهذا يعني بناء الجانب اللغوي لذلك الإنسان الصالح .
- خطورة دور الأبوين في تربية الأبناء اللغوية ، وأن القدوة الحسنة أساس غرس الفضائل ، والاستهانة بهذا الأمر في التعامل مع الأبناء يؤثر في تخليهم عنه ، بطريقة مباشرة أو عن طريق الإيحاء . وضرورة متابعة الأبناء وسرعة معالجة لغتهم عند ملاحظة بوادر تلك التحديات عليهم .

- ضرورة قيام المدرسة بدورها التربوي في الدفاع عن اللغة العربية وحراستها ، من خلال جميع عناصرها من معلمين وإداريين و نشاط طلابي ومقررات دراسية ، بالقوة الحسنة ، والعناية بتقديم البرامج الهادفة ، وتضمن المقررات الدراسية ما يساعد على المحافظة على هويتنا العربية .

- أهمية دور مؤسسات المجتمع الأخرى في تربية الناشئة على اللغة العربية ، فالمسجد و الإعلام والأصدقاء ... يشاركون في التربية ، ولهم أثر كبير في غرس السلوك وتنمية الاتجاهات .

ثانيا : التوصيات

١. دراسة القرآن الكريم والسنة النبوية دراسة متعمقة لاستنباط أهم المبادئ التربوية ، والعمل على بثها في المجتمع المسلم ، والاستفادة منها في تربية الناشئة على لغة القرآن.

٢. العمل على إخراج التطبيقات التربوية لجميع الدراسات التربوية إلى الميدان التربوي ، للاستفادة منها ، وتطبيقها عمليا ، من خلال استخلاص أهم ما فيها في نشرات تربوية مركزة تعمم على المدارس .

٣. إقامة نشاط توعوي عام عن أهمية التربية اللغوية ، وبيان دور اللغة في رقي الأمم، وإعداد البرامج والدورات المختلفة ، وتنفيذه في كافة القطاعات على جميع المستويات.

٤. العناية بالتربية اللغوية للأبناء ، لتأصيل لغة القرآن في نفوسهم ، وحمايتهم من المؤثرات الخارجية في هذا العصر .

٥. العناية بحلقات تحفيظ القرآن الكريم ، فقد أثبتت الكثير من الدراسات أن الطلاب الذين يحفظون القرآن أجود لغة من غيرهم .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ابن جنّي ، أبو الفتح عثمان (د.ت) : الخصائص ، تحقيق : محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، القاهرة .
- ابن حنبل ، أحمد (١٩٩٨) : المسند ، تحقيق : أبو المعاطي النوري وآخرون ، بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٩٨ .
- ابن خلدون ، عبد الرحمن . (١٩٩٦) : مقدمة ابن خلدون ، بيروت ، لبنان ، دار ومكتبة الهلال .
- ابن فارس ، أبو الحسين أحمد (د.ت) : معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، بيروت ، دار الجيل .
- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم (د.ت) : لسان العرب ، بيروت ، دار صادر .
- أبو العيين ، علي خليل مصطفى (د.ت) : القيم الإسلامية والتربية ، المدينة المنورة ، مكتبة إبراهيم حليبي .
- البائلي ، أحمد عبد الله (١٤١٢) : أهمية اللغة العربية ، ط ١ ، دار الوطن ، الرياض .
- بن عبد الله ، عبد العزيز (٢٠٠٠) : عربنا المصطلحات ولكن العرب لم يصطلحوا ، مجلة المعرفة ، العدد (٦٥) شعبان ١٤٢١ ، وزارة المعارف ، السعودية .
- أيوب ، حسن (د.ت) : السلوك الاجتماعي في الإسلام ، دار الندوة الجديدة .
- البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (١٩٩٧) : صحيح البخاري ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ط ٢ .
- توصيات المؤتمرات التعليمية الإسلامية الأربع (١٩٨٣) ، ط ١ ، المركز العالمي للتعليم الإسلامي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة .
- الجهني ، محمد فالح (٢٠٠٠) : عقبات محلبة في طريق العالمية ، مجلة المعرفة ، العدد (٦٥) ، شعبان ١٤٢١ ، وزارة المعارف ، السعودية .

- حسين ، محمد محمد (١٩٧٢) : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، ط٣ ، دار النهضة العربية ، بيروت .
- الحقييل ، عبد الله حمد (١٩٨٠) : في التربية والثقافة ، ط٢ ، دار الاصفهاني ، جدة .
- الخطيب ، محمد شحات ، وآخرون (٢٠٠٤) : أصول التربية الإسلامية ، ط٣ ، دار الخريجي ، الرياض .
- الخولي ، سناء (١٩٨٤) : الأسرة والحياة العائلية ، بيروت ، دار النهضة العربية.
- الدخيل، محمد عبد الرحمن (١٤١٨) : مدخل إلى أصول التربية الإسلامية ، ط١ ، مركز طيبة ، المدينة المنورة .
- رضوان ، أبو الفتوح ، وآخرون (١٩٧٨) : المدرس في المدرسة والمجتمع ، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية .
- ريان ، فكري حسن . (١٩٩٣) : التدريس أهدافه وأسس وأسابيه وتقويم نتائجه وتطبيقاته ، دار عالم الكتب ، القاهرة.
- الزبيدي ، يحيى عبد الله (١٤٢١) مزاومة العامة للغة العربية الفصحى لدى طلاب مدارس القنفذة من وجهة نظر معلمي المرحلة الابتدائية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة .
- السباعي ، زهير أحمد (٢٠٠٠): هل تدريس الطب بالعربية يخرج لنا أطباء أضعف ؟ ، مجلة المعرفة ، العدد (٦٥) ، شعبان ١٤٢١، وزارة المعارف ، السعودية.
- سويد ، محمد نور بن عبد الحفيظ (١٩٨٨) : منهج التربية النبوية للطفل مكتبة الحرمين ، ط٢ .
- الشنتوت ، خالد أحمد (١٩٩٣) : تربية الشباب المسلم ، جدة ، دار المجتمع ، ط١.
- الشنطي ، محمد صالح (١٩٩١) : المهارات اللغوية .
- شهلا، جورج ، وآخرون (١٩٨٢) : الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية ، ط٥، دار العلم للملايين ، بيروت.

- الصمدي ، خالد (٢٠٠٢) : جوانب من تأثير الفرنكوفونية في نظام التربية والتعليم في المغرب ، مجلة البيان العدد (١٧٧) ، جمادى الأولى ١٤٢٣ ، المنتدى الإسلامي ، لندن .
- صوفان ، عاكف يوسف (١٩٨٥) : التحدي الثقافي الإعلامي ، وقائع ندوة التحديات الحضارية والغزو الثقافي لدول الخليج العربية ، شعبان ١٤٠٥ ، مكتب التربية العربية لدول الخليج .
- ضابط تركي سابق (١٩٩٢) : الرجل الصنم كمال أتاتورك ، ترجمة : عبد الله عبد الرحمن ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط٤ .
- عبيدات ، ذوقان وآخرون (٢٠٠٤) : البحث العلمي ، مفهوماته ، وأدواته ، وأساليبه ، دار أسامة ، الرياض .
- عطار ، ليلي عبد الرشيد (١٩٩٨) : الجانب التطبيقي في التربية الإسلامية ، جدة ، دار المجتمع ، ط٢ .
- عكيبة ، محمد ، وآخرون . (١٩٨٤) : مدخل إلى مبادئ التربية ، ط ١ ، دار القلم ، الكويت .
- علوان ، عبد الله ناصح (٢٠٠٢) : تربية الأولاد في الإسلام ، القاهرة ، دار السلام ، ط٣٨ .
- علي ، سعيد إسماعيل وآخرون (٢٠٠٥) : التربية الإسلامية المفهوم والتطبيقات ، ط٢ ، مكتبة الرشد ، الرياض .
- عليان ، أحمد فؤاد (٢٠٠٠) : المهارات اللغوية ، دار المسلم ، حائل ، ط٢ .
- الفارسي ، فؤاد عبد السلام (د.ت) : الأصالة والمعاصرة المعادلة السعودية ، جدة ، المدينة المنورة للطباعة والنشر .
- الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد (١٩٩٣) : القاموس المحيط ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ط ٢٠ .

- فيصل ، شكري (١٩٨٥) : التحدي اللغوي ، وقائع ندوة التحديات الحضارية والغزو الثقافي لدول الخليج العربية ، شعبان ١٤٠٥ ، مكتب التربية العربية لدول الخليج .
- مذكور ، أحمد (١٩٨٤) : تدريس فنون اللغة العربية ، ط ١ ، مكتبة الفلاح ، الكويت .
- المقرري ، عبد الناصر (٢٠٠٢) : الفرنكوفونية ومحنة اللغة العربية في المغرب ، مجلة البيان ، العدد (١٧٧) جمادى الأولى ١٤٢٣ ، المنتدى الإسلامي ، لندن .
- المنقري ، محمد (١٤٢١) : الصحافة في المدارس ، ط ٢ .
- النجار ، زغلول راغب (١٩٩٥) : أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية ، الرياض ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي .
- النحلاوي ، عبد الرحمن (١٩٨٢) : التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
- وزارة المعارف (١٩٩٥) : سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية ، السعودية ، ط ٤ .
- الوعي الإسلامي (٢٠٠٥) العدد (٤٨٠) ، شعبان ، ١٤٢٦ ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الكويت .
- بالجن ، مقداد (١٤٠٩) : أهداف التربية الإسلامية وغاياتها ، ط ٢ ، دار الهدى للنشر والتوزيع ، الرياض .
- بالجن ، مقداد (١٩٩١) : دور جامعات العالم الإسلامي في مواجهة التحديات المعاصرة ، ط ٢ ، دار عالم الكتب ، الرياض .

* *